العرب والتفاعل الحضارى فى عالم متوازن

.Arabs and Civilizational Interaction in a Balanced World

أ.نجية طلبة المسلمي(*)

الملخص

يكشف المشهد العالمي الآن بأن اصبح الإنسان ذئباً لأخيه الإنسان .. هكذا قال هوبز، وأعلنت الحضارة الزائفه عن وجودها بعد ان اثبت الواقع بحرب روسيا واوكرانيا ثم حرب اسرائيل علي الفلسطينين أن هناك تناقض بين ما يقال وما يمارس علي أرض الواقع بالدليل القاطع، فمبادئ وقيم القانون الدولي الأخلاقي والإنساني والذي مهمته فض المنازعات وتحقيق التعايش السلمي بين دول العالم بكل الوانها وانواعها دون تمييز في عقيدة أو جنس أو لون أو لغه اصبحت في جانب، والممارسات التي تحدث علي أرض الواقع من الدول القوية المهيمنه في جانب آخر نتيجة لإزدواجيه المعايير وسياسة الكيل بمكيالين مما أدي إلي إختلال العدل بين الدول.

الكلمات المفتاحية

(العرب، التفاعل الحضاري، العالم، الوضع الراهن، العدل الاجتماعي، التعددية)

The current global scene reveals that man has become an evil to himself and all of humankind, as Hobbes once said. The false civilization has announced its existence after reality has proven through the wars in Russia and Ukraine, and the Israeli–Palestinian conflict, that there is a contradiction between what is said and what is practiced on the ground, with compelling evidence. The principles and values of international, ethical, and humanitarian law, whose mission is to resolve conflicts and achieve peaceful coexistence among nations, regardless of creed, gender, color, or language, have been compromised. Practices occurring on the ground by dominant and powerful nations, on the other hand, are a result of double standards and the policy of measuring with two different scales, leading to a disruption of justice among nations .

Keywords: Arabs, civilizational interaction, world, current situation, social justice, diversity.

(*) عضو اتحاد كتاب مصر، عضو الجمعية الفلسفية المصرية.

المقدمة

يكشف المشهد العالمي الآن بأن اصبح الإنسان ذئباً لأخيه الإنسان .. هكذا قال هوبز، وأعلنت الحضارة الزائفه عن وجودها بعد ان اثبت الواقع بحرب روسيا واوكرانيا ثم حرب اسرائيل علي الفلسطينين أن هناك تناقض بين ما يقال وما يمارس علي أرض الواقع بالدليل القاطع، فمبادئ وقيم القانون الدولي الأخلاقي والإنساني والذي مهمته فض المنازعات وتحقيق التعايش السلمي بين دول العالم بكل الوانها وانواعها دون تمييز في عقيدة أو جنس أو لون أو لغه اصبحت في جانب، والممارسات التي تحدث علي أرض الواقع من الدول القوية المهيمنه في جانب آخر نتيجة لإزدواجيه المعايير وسياسة الكيل بمكيالين مما أدي إلي إختلال العدل بين الدول.

وسبب هذه الهيمنه أنها تمتلك عناصر القوة التي تجعلها متفوقه علي غيرها من الدول مما استدعي دول العالم التفكير في نظام عالمي جديد يحقق التوازن للعالم ويقضي علي الصراعات والممارسات الخاطئه .. من دولة القطب الواحد (الولايات المتحدة الأمريكية) ليحل محله نظام عالمي متعدد القطاب يعيد التوازن للعالم كله.

وكشفت ايضاً عن انحسار الاخلاق باختراق كل المواثيق والقواعد الأخلاقيه للقانون الإنساني العالمي غير عابئه بتداعيات مع يحدث علي الساحة من زعزعه الأمن والاستقرار في العالم كله، والمفترض أنها دولة القطب الواحد المسئولة عن رعاية السلام في العالم منذ عام ١٩٩١.

ويكشف الواقع أيضاً عن صعود دولة الصين بقوة، وكذلك روسيا واليابان والهند والمانيا والبرازيل وغيرهم مما ينبأ عن رغبتهم مجتمعين في إعاده التوازن المفقود إلى العالم للقضاء على هيمنه القطب الواحد وسطوة الدولار الامريكي. وإذا كانت التكتلات الاقتصاديه والأحلاف العسكريه هي طريقهم لتزيد عناصر القوة، فقناعاتى عاليه بأن الحوار يصل بنا لنتيجه أجدى من أجل تحقيق السلام والتعايش السلمي في العالم.

ويكشف الواقع أيضاً عن الوضع المأساوي للدول العربية

فلابد إذن للعرب أن :

(١) يتوحدوا في تقديم رؤيه مستقبليه موحدة لمواجهه الآخر.

(٢) ولابد من تقويه الذات العربية وتدعيمها بكل عناصر القوة واهمها العقل الناقد الذي هو صمام الأمان لكل دولة.

(٣) وعليهم الدخول في تكتلات اقتصادية وثقافيه مع الآخر بنديه.

(٤) كذلك من الضروري اصلاح آليات فض المنازعات والمنوط بها حفظ السلام في العالم كالأمم المتحدة ومجلس الأمن وغيرهم، أو على مستوى الأقليم كجامعه الدول العربية وبما يتفق والمتغيرات التي حدثت في احوال الدول.

(٥) انها فرصه هائله لأن يصيغ الفلاسفه العرب مشروع فلسفي أخلاقي عربي مستوحى من من ثقافتنا وقيمنا الخلقيه والروحيه والدينيه التي اجتمعت فيها مبادئ كل الاديان السماويه وغير السماويه وهو ما يفتقده الغرب.

ويدور البحث حول المحاور الآتيه :

١- توصيف لحاله الوضع العربي الآن بالقياس للغرب.

٢- نحو عالم متعدد الاقطاب.

٣- تقوية الذات العربية والتفاعل الحضارى.

العرب والتفاعل الحضاري في عالم متوازن

-١-

الوضع العربي الراهن

تعاني الأمة العربية والإسلامية أزمة فكر أدت بهم لحضارة زائفة، شكلية إنتهت بهم لغربة حضارية، تقتلهم الطائفية وتفرقهم المذهبية، حتي اصبحت قدرة الإنسان العربي علي اقتناء المادة تفوق قدرتة علي تشكيل ذاته واخلاقة وطموحاتة.

ومع هذا السيل الجارف من التقدم العلمي الذي يسود العالم تعلن الاخلاق الزائفة عن نفسها كما قال توماس هوبز [ان يصبح الإنسان ذئباً لأخيه الإنسان] مما جعل المنطقة مطمع للدول الاستعمارية وفقاً لحديثه (صلي) [تتكالب عليكم الأمم كما تتكالب الأكلة علي قصعتها قالوا أمن قلة نحن يا رسول الله قال لا كثير ولكنهم كغثاءالسيل] وكل ذلك نتيجة لاسباب أهمها افتقاد التضامن العربي، وتقديس التراث وإفتقاد الرؤية الشاملة الموحدة نحو المستقبل من أجل المحافظة علي بقاء هذه الأمة، والصراع بين الدين والسياسة وسعي الإسلام السياسي لهدم الدولة الوطنية، وتخلف العلم والبحث العلمي بالقياس إلي الغرب نتيجة لعدم الاجتهاد، والركون إلي التقليد إما للماضي أو التقليد للغرب فكان نتيجة ذلك اننا اصبحنا دولاً مقلدة وليست مبدعة، دولاً مستهلكة وليست منتجة غير مدركين أن للنهضة أسبابها وليست وليدة الصدفة، بل تتم بمنهجية علمية وتخطيط واستراتيجية عبر عنها المفكر الجزائري مولود بلقاسم [التقدم بالعلم يا سادة وليس بالترنح والوسادة] فاصبحو فريسة للعولمة " لثقافة واحدة " تهيمن علي العالم ضاربة بهويات الدول عرض الحائط.

فمشكله العرب والعالم الإسلامي في حقيقتها مشكل حضارية بطلها التخلف بكل جوانبه رغم ان كل العقائد السماوية التي نزلت بهذه المنطقة تحمل مبادئ الحث على التطور، وتحمل من القيم ما يدفع نحو التقدم ومثالنا في ذلك العقيدة الإسلامية التي تستند فى قيامها على مبدأى المساواة، وحفظ الكرامة الإنسانيه وتحث على النظر العقلي، وتجعل من العلم فريضه، وتجعل من الحضارة فريضه دينيه، ونتيجه لهذا التخلف اصبحوا غافلين مما يدور حولهم من متغيرات، وحدثت قطيعة حضارية تاريخيه مجتمعاتهم مع العالم ومع مرحلة تاريخيه احتل فيها العلم العربي المرحله الوسطى من تاريخ العلم العالمي.

فقد تقدم الغرب بالعلم والمعرفه، ونحن الشرق ولقرون طويله عندما تواجهنا مشكلات أو متغيرات العصر ومستجداته نعود الى كتب التراث نبحث فيها عن حلول، أي صرنا نبحث لمشاكلنا الحديثة عن حلول قديمه من بطون كتب كانت تناسب عصرها.

فأزمة العقل العربي حدثت لتكاسل العقل عن الاجتهاد وهذا ما أعلنه فضيله الشيخ أحمد الطيب إمام الأزهر الشريف [إن آفه هذه الأمة الكسل فى الاجتهاد] وصفه د. محمود حمدي زقزوق –رحمه الله– بأنه عقل حائر بين ثقافتين.. قديمه متجمده، وحديثه متجددة وهو عاجز عن الموائمه بينهما بصيغة تتناسب ومكوناته الحضارية والمادية، ويحضرنى أيضاً مقوله د. حسن حنفى –رحمه الله– حين قال :[نحن أمه لا هي استطاعت أن تحافظ علي تراثها، ولا هي استطاعت أن تعيش عصرها بكل ما فيه من تقدم تقني وفكري وحضاري حتي بدت الصورة واضحة تماماً، فالمعركة هي أصلاً معركة فكريه حضاريه لها توابعها الأليمه، لأن الهزيمه هنا هي هزيمه عقليه هدفها قتل الروح وإماتتها إلي الأبد].

فالصراع الحضاري قائم فعلاً بين الشرق والغرب، وهو الذي جعل الغرب –وبكل ما لديه من قوة ودسائس ومكائد– يسعي لإحداث هزيمه عقليه للشرق المتدين لإثبات فشل الشريعه الإسلامية، وعجزها عن تحقيق تقدم للمسلمين.

وقد أغفل المسلمون حقا الكثير من السنن الكونيه ومنها السببيه التي تقول عندما يتغير الظرف التاريخي لابد أن يتغير تبعاً له نمط التفكير واسلوب تحدى الواقع، فقد كان

المنتظر من الدول العربية والإسلامية بعد خروج الاستعمار وتحريرها أن تنهض بنفسها بما تمتلكه من ثروات وامكانيات، إلاَّ انها اصطدمت بتراث متجذر، واستسلمت له بما يحمله من غث بجوار الثمين وبما يحمله من كل الوان الاستبداد دون ادراك ان للنهضه اسبابها الحقيقيه، وانها ليست وليدة الصدفة، ولا تحدث بعشوائيه، نبهنا لذلك القرآن الكريم فى كثير من مواضعه فقد قال تعالى: [واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم]، الانفال (٦٠) وفي آيه اخرى [لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم]، الانفال (٤٦) وفي ثالثه [وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون]، الزمر (٩)، وفي رابعه [لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب] يوسف (١١١).

حتى جاء الوقت فعلاً الذي إنطبق على العرب والمسلمين حديثة (صلى) [تتكالب عليكم الأمم كما تتكالب الأكلة على قصعتها ... الخ] فالعرب يستوردون ٧٠٪ من غذاءهم من الخارج، واصبحوا تابعين بالقروض المشروطه والمنح المشروطه، ناهيك عن الثروات واهمها البترول – التي يسطو عليها الغرب لتبدو لنا ملامح هذا العصر بكل عنفوانه انه عصر القوة، واثبتت حرب روسيا واوكرانيا ومن بعدها حرب اسرائيل على غزة الدائرة الآن ومساندة الدول الكبرى لاسرائيل – انه عصر لا يعرف الاَّ لغه القوة، وعصر ازدواجيه المعايير، وعصر تجاهل القيم الروحيه والانسانية، وبعد أن كان العرب ولمدة قرنان من الزمان يبحثون عن إجابه لسؤالهم لماذا تقدم الآخرون وتخلفنا نحن؟ اصبح السؤال الآن في خضم هذه الصراعات هل نحن باقون أم إلى زوال ؟ .. فالقضية الآن اصبحت قضيه بقاء .. قضية وجود؟

فلا يليق بهذه الأمه التى تسيدت العالم فى حقبه زمنيه معينه أن تعتمد في غذائها على الآخرين وبنسبه ٧٠%، وأن تهاجر عقول ابناءها ليصنعوا حضارة الآخرين، وأن تبحث نساءها واطفالها وشبابها عن الأمان في منازل الآخرين، ولا يليق بهذه الأمه أن تكون تابعه ومقلدة لتصبح فى النهايه جزءاً من مشاريع الآخرين.

ومن قبل تقدم الكثير من المفكرين والفلاسفة بمشاريع نهضويه لإنفاذ هذه الأمه.. وهي وإن اختلفت فى اسلوب اجتياز الأزمة إلاَّ انها تتفق في ضرورة اللحاق بركب التقدم [المعاصرة]، وضرورة تحقيق توازن بين الاصالة والمعاصرة لتحتفظ الأمه العربية

بهويتها، وخصوصيتها الذاتية، فمن الضروري التمسك بالقديم بعد تنقيته من الخرافات والاسرائيليات وما هو غير مناسب للعصر، وفى نفس الوقت مسايرة المعاصرة بكل ما تحمله من تقدم علمى وتقنى يحقق رفاهية للإنسان.

وجميعنا يعرف ان مفتاح الحضارة هو العلم، وهو غير متقدم عند العرب والمسلمين بالقياس للغرب مما احدث فجوة حضارية هائلة بين الشرق والغرب عبر منها المفكر الجزائرى مولود بلقاسم حين قال [التقدم بالعالم ياسادة وليس بالترنح والوسادة] .. وكذلك نيه من قبل اليها المفكر العظيم مالك بن بنى حين قال عبارته المشهورة [المشكلة ليست في الاستعمار لكن المشكلة في القابليه للاستعمار] تلك القابليه هي سبب الأزمة الحضارية التي يعيشها المسلمون والعرب الآن، والتى أوجزها فى ثلاث كلمات هي التخلف، التبعيه، العجز .. وأعنى به العجز عن وضع مشروع حضارى عربى متكامل لإنقاذ الأمه من براثن التخلف.

فعصرنا اليوم عصر القوة، والعلم قوة، والدولة التي تمتلك العلم تمتلك القوة، وتفرض نفسها علي الآخرين، ومن لا تمتلك العلم فيكفيها ان تكون تابعه ومقلدة ومستهلكه لما ينتجه الآخرين.

والأمه العربية ليست فقيرة فلديها من الثروات الطبيعىه والبشرية والماليه ما يؤهلها لمواجهه التحديات، ولديها قوة روحيه هائله تجعلها تحقق التوازن المطلوب بين الروح والمادة لهذا العالم المتصارع الذي احدث انهياراً أخلاقيا بإغفاله للقيم الروحية والخلقيه.

العالم الآن يعاني ويئن من افتقاد العدل فهناك دول تعيش في ثراء وكرامه واخرى فقيرة معدومة الكرامة، وإنشطر الإنسان بإنشطار دول العالم الى قاهر ومقهور، غالب ومغلوب، ظالم ومظلوم لتكون المحصلة النهائية [ان الإنسان اصبح ذئباً لأخيه الإنسان] كما قال هوبز.. إنه حصاد العولمه بكل ما تحمله من شراسه بهيمنه الولايات المتحدة الأمريكية [القطب الواحد] على العالم كله منذ عام ١٩٩١ إثر انهيار الاتحاد السوفيتي ... فرغم التقدم التقني الهائل الذي جعل العالم قرية واحدة إلا أنها فشلت في تحقيق الأمن والسلام للعالم، ناهيك عن ارتفاع معدلات الفقر والبطالة، وحدوث التغير المناخي، وانتشار الأوبئة وغيره مما افقد العالم الكثير من الأمان والسلام.

فحضارة اليوم التي نعيشها هى حضارة مزيفه لأنها أغفلت الجانب الروحى والفكرى عند الإنسان، تدعو للحريه والمبادئ الانسانية والخلقية ثم تفتعل الصراعات بالتدخل السافر فى شئون الدول الداخليه لعرقله نموها ونهب ثرواتها، الحضارة الغربية زائفة لأنها تسخر قوتها العلميه فى الصراع النووى، والجريمه المنظمة وكل المجالات التى تضر الإنسان حتى وصل الأمر لرعايه الارهابين لأجل مهاجمه الدولة الوطنية عند اللزوم فادخلت العالم في حالة من الانفلات والفوضى نتيجه ازدواج المعايير وسياسة الكيل بمكيالين، وارهاق الدول بالمنح المشروطة والقروض المشروطة، أو استخدام اراضيها كقواعد عسكرية لها. **فأفقدت العالم العدل الاجتماعي، وفقد الحوار قيمته باعتباره الوسيلة الوحيده التي تليق بانسانية الإنسان.**

ناهيك عن حرصها على فرض ثقافتها بمحو ثقافات العالم كله ضاربه بعرض الحائط ما فطرت عليه البشريه من قديم الأزل وهو قانون الاختلاف، وهو سنه كونيه اعلنها القرآن الكريم [وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا]، فالله أوجد التنوع والإختلاف لتكامل البشرية وليس لإنقسامها .. فيتولد الإبداع.

لقد اغفلت العولمه دور الاخلاق، ودور الطاقة الروحية في ضبط موازين القوى في العالم، اغفلت العقلانية الحكيمة في تعاملات البشر وذلك كله لأنها دولة عنصريه، لا تعترف بوجود الآخر، وترى في نفسها المركز وكل دول العالم الأطراف، ويجب ان تقاس تقدم دول العالم بمعيار التقدم الامريكي، متجاهله الخصوصية الذاتية لكل دولة حتى تسود العالم الثقافية الامريكية فقط ولعل ما نشاهده من احداث ناتجه عن التغير المناخي اكبر دليل على افتقاد العدل الاجتماعي بين دول كبري قويه هي سبب حدوث ظاهره التغير في المناخي بنسبه ٨٠% واخرى ناميه بنسبه ٢% لكن الاضرار الكثيره تقع علي الدول النامية.

وقد وصل تطرف أمريكا أنها تساند قوى متطرفة فكرياً " تسعى إلى تحطيم البشريه والقيم الخلقيه، ليصبح العقل الناقد وحده هو من يستطيع أن يتفادى هذه الأضرار، فهي تساند المثليين الذين يعلنون عن وجودهم بجرأة ووقاحه حتى أن بعض المدارس في بعض الدول الأوروبية تثبت في أذهان الأطفال بأنهم ليسوا ذكوراً أو أناثاً، وأن عليهم

أن يحددوا بأنفسهم الجنس الذى ينتمون اليه، لأن تحديد الجنس مسأله تتعلق بالهوية النفسية والثقافية للفرد، وليست الموروثه، وبناء علي ذلك انتشرت مستشفيات التحول الجنسى، وبيع الهرمونات التي تساعد على التحول الجنسى .. وكل ذلك له تأثيره السلبى على البشرية لأنه يحدث خلل فى التوازن البيئي.

وهو ما دعا دول العالم الى التفكير فى بناء حضارة جديدة بنظام عالمى جديد يعيد التوازن للعالم.. نظام يستند الى قطبيه متعددة ليصبح بديلاً لهيمنه القطب الواحد، نظام عالمى جديد يحكمه قانون أخلاقى واحد يستند الى اخلاق المسئوليه، يحمل بين ضلوعه اخلاق التقدم التي تقوم على المشاركة والتعاون والإنسجام .. اعنى انسجام خير الفرد مع خير الآخرين.. وهو يعنى ان تحب لغيرك ما تحب لنفسك وهذا ما دعا الصين وروسيا إلى التفكير فى إنشاءتكتل "بريكس" وهو تكتل اقتصادي أنشأ خصيصاً عام ٢٠٠٦ لأجل القضاء على هيمنه امريكا على أسواق العالم، والقضاء على هيمنة الدولار الأمريكي.

اليس من الأهميه الآن ان يعيد العرب [قادة وعلماء وفلاسفه ومصلحين ومفكرين] رؤيتهم عن الغرب؟ فما زلنا أسرى له فكرياً وحضارياً !!

اليس من الأهمية ان يكون للعرب دور فاعل في التاريخ ولا يقفوا موقف المتفرج؟!

وهل يأخذ العرب بالآيه القرآنية [كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر] والعالم كله في هذه الظروف ينتظر من يمد له العون والمساعدة؟!

هل لدي العرب الوعي الكافي بقيمة ترابطهم وتوحيد امكانياتهم في مواجهه الآخر من اجل تحقيق رؤيه مستقبليه موحدة لأجل الحفاظ على البقاء.

ان العالم الآن بحاجه الى من يمنحه القيم الروحية والخلقيه المفقودة .. بحاجه لقانون اخلاقى واحد يتفق عليه الجميع ويلتزم به الجميع، العالم بحاجه لقانون اخلاقى يتعالي على المصالح والمنافع الفردية للأفراد والشعوب .. العالم بحاجة لاخلاق المسئولية كي نقضى على الحروب والصراعات وتدمير البيئة .. الخ لأنه بالالتزام بالضوابط الاخلاقيه نستطيع ان نحقق العداله المفقودة ونعيد التوازن بين الأنا والآخر، وبين العلم والاخلاق لأجل سعادة الانسان ورفاهيتة ليصبح الانسان غايه وليس وسيله

.. وهذا ما ترنو اليه كل دول العالم الآن والعرب جزء منهم.. لذلك فخير ما نقدمه للعالم هو مبادئ ديننا الإسلامى الحنيف من خلال سلوكنا وأفعالنا وتعاملنا مع الدول التي نتعاون وتتفاعل معها، واهميه تقديمه بصورة صحيحة فهو دين جامع لمكارم الاخلاق، دين الوسطيه والاعتدال، والتسامح، يدعو للنظر العقلي، ويجعل من العلم فريضة، ينبذ العنف، والتطرف الفكرى، والتقليد والتبعية، ويدعو للانفتاح على الآخر .. ديننا الإسلامي هو دين للبشرية كلها بمبادئه ومقاصده، ويستطيع ان يقود العالم بما يحمله من منظومه قيميه واخلاقيه روحيه من خلال مشروع فكري عربي اخلاقي يجمع بين جانبي الحضارة (المادية والروحيه معاً) تتحقق من خلاله إنسانية الإنسان، ويحقق التعايش السلمى لكل البشر، بما لدينا من مخزون روحى رائع جاءت به كل الاديان السماوية، واجتمعت له غير السماوية ، كالبوذية والكونفشيوسيه وغيرهم.

ديننا الإسلامي جامع لمكارم الأخلاق يساعد الإنسان على تحقيق مطالبه بالتوازن بين احتياجاته والآخرين بضوابط أخلاقيه مستخدماً اسلوب الحوار، ومقدراً لقيمة التفاوض لأجل تحقيق اهدافه وليس بالعنف والقوة والاستعلاء .. فالأخلاق اساس الحضارة، ولا تستقيم أمه بدونها، ولا تتحقق السعادة الاَّ بها فى الدنيا والآخرة ولذا قال فيها شاعرنا احمد شوقى:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت .. فإن هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا.

وبهذه الفلسفة العربية الاخلاقية المأموله نستطيع مواجهة سلبيات العوله وبكل ما تحدثه من دمار للإنسانية مادياً وروحيا .. ونستطيع ايضاً مواجهة الغرب العلمانى الذى يريد فى كل لحظه أن يثبت فشل الشريعة الإسلامية في تحقيق نهضه عربيه غير مدرك ان العيب فى المسلمين انفسهم وليس فى جوهر العقيدة.

-٢-

نحو عالم متعدد الأقطاب

بعد أن أدرك الجميع من قادة العالم فشل القطب الواحد فى تحقيق الأمان والاستقرار للدول تتجه دول العالم لإنشاء عالم جديد متوازن في قواه لإنهاء نظام القطب الواحد، فبإرادة قوية ومنذ سنوات نهضت الصين، والبرازيل، والهند، واليابان والمانيا واسترد

الدب الروسي عافيته، وحربه مع اوكرانيا خير دليل حيث تمتلك روسيا ترسانة نووية تجعلها مهابه من جانب امريكا حتى الآن .. والرئيس الروسى بوتين مستعد أن يهد المعبد على الكل مقابل الاَّ ينهزم والصين كذلك عرفت امكانياتها وموقعها من التنافس العالمى الحضارى القائم الآن، وليس بالنقل أو التقليد وتعد نفسها لقيادة الدورة الحضارية بروح شرقية تقوم على تبادل المنافع والمصالح المشتركة تحت مبدأى العدل والسلام متخذه سياسة الانسجام والاعتدال مع الجميع، أو بمعنى آخر [الانسجام مع وجود اختلاف].

ولذلك يسير العالم الان في اتجاهات عدة :

١- جهود سياسية تتمثل في عمل احلاف عسكرية، مثل تحالف امريكا مع حلف الناتو.

٢- عمل تكتلات اقتصاديه مثل البريكسي هدفها القضاء علي الهيمنه الامريكيه وسطوة الدولار الامريكي وهو مكون من ١١ دولة [روسيا – الصين – الهند – البرازيل – جنوب افريقيا – مصر – الامارات العربية – السعودية – اثيوبيا – الارجنتين – ايران] وذلك في مواجهة الدول السبع الكبرى.

٣- حدوث تقارب سياسي بين بعض الدول كالتقارب الروسي الصيني، والروسي الايراني، والصيني مع كوريا الشمالية ليشكلو معاً كتلة موحدة ضد امريكا عند اللزوم.

٤-التفكير الجدى نحو ايجاد قانون اخلاقي واحد ينال رضا الجميع وتجتمع تحت لواءه كل الأجناس البشرية وضرورة الالتزام به.

٥- الدعوة لعمل اصلاحات للهيئات والمنظمات المنوط بها فض المنازعات، وتحقيق السلام في العالم مثل جامعة الدول العربية، علي مستوي الاقليم وهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وغيرهم .. علي مستوي العالم.

٦- زيادة الاهتمام بالاقتصاد الداخلى للدول احتذاء بالصين حيث لها مشروعاتها الحزام والطريق الذي يربط قارات العالم اسيا وافريقيا واوروبا مع نشر الثقافة الصينية لتسود العالم لأن الصين تتطلع ان تسود العالم باقتصادها وثقافتها في الدورة القادمه .. ولننتظر ماذا تسفر عنه الحرب الروسية الأوكرانيه، والحرب الاسرائيليه الفلسطينية.

٧- اصبح مؤكداً أن كل دول العالم تفضل سيادة قيمها الوطنية والخلقية والثقافية عن قيم العوله الغربية.

٨- يجب معرفة ان تمخض نظام عالمى جديد - يخضع لعوامل اهمها :

أ- مدى تحقيق روسيا لأهدافها في المحافظة على الأمن القومى الروسي، ومدي تحمل اقتصادها داخلياً في مواجهه العقوبات.

ب- مدى تأثير التحرك الروسى وتقاربه مع الصين فى احداث تغيير في موازين القوى بالتنسيق بينهما في تدعيم القوى الاقتصادية، والعسكرية، والاعلامية.

ج- ظهور مؤشرات لنظام عالمى جديد يتحدد أيضاً باهتمام كل دولة على حده ببناء وتسليح جيشها، والاعتماد على ذاتها تجنباً للتبعيه والعولمه.

د- نجاح الدول فى إنهاء التعامل بالدولار الأمريكي، مع مراعاة ان هذا الأمر لن يحدث فى فترة زمنية قصيرة لعدة اسباب هي:

- ما زالت امريكا تتمتع باقتصاد عالمي متفوق.
- لدي امريكا سوقاً مالياً هائلاً حتى الآن.
- لديها قدرة عالية على مواجهة الأزمات واجتيازها
- يوجد حتى الآن تشابك عميق بين الاقتصاد العالمى والدولار الامريكي.
- يمتاز الدولار الأمريكي بسهولة تحويله لأصول أخرى.

-٣-

تقوية الذات العربية والتفاعل الحضاري

بالتجديد في كل مناحي الحياة [دينياً ودنيوياً] بالاجتهاد لأجل مواجهه السياسات الخاطئة، وما ادى إليه النظام العالمى متوحد القطبية الذي أفقد المجتمع الانساني كرامته، وتقويه الذات تأتى بها كل دولة علي حده وفقاً لظروفها وما تراه مناسباً لها، فإصلاح البيت من الداخل أمر ضروري تحتمه ظروف العصر ومستجداته، ومن أولى المهام تدعيم محددات الهوية العربية الاسلامية من دين ولغة وتاريخ واهداف .. الخ لأجل محافظه كل دولة على خصوصيتها الذاتيه:

- فاللغة العربية حافظه لهويه الأمه واللسان الناطق لها، والتفريط فيها هو التفريط فى هويتنا، وهي مازالت قويه ولديها القدرة على استيعاب الفاظ جديدة هي مصطلحات الحضارة الحديثة.
- وللتاريخ دور محورى في المحافظه على الذات وبناءها، ويعد ذاكرة الأمه، والمعبر عن احداثها، وركن اساس في تشكيل هويتها لما يحققه من انتماء ووعى بالظروف والاحداث شريطة ان يكتب، ويُقدم دون تزييف أو تشكيك، أو تهويل أو مبالغه، وهو محرك قوى لقيمة الدفاع عن الوطن والعرض والمحافظة على البقاء .. ولا مستقبل لأمه ليس لها تاريخ.
- دور الفنون، وكل القوى الناعمه لا يستهان به في التشكيل العقلي والروحي والوجداني للأمة.
- تجديد الفكر الديني بإعمال العقل لتحدث موائمة بين النصوص ومتغيرات العصر ومستجداته فنستطيع ان نواجه مشاكلنا بطريقة صحيحة استناداً إلى حديث ابن القيم [من أفتى الناس بالرجوع الى الكتب دون النظر إلى احوالهم واعرافهم وبيئاتهم فقد ضل وأضل وكانت جنايته على الدين كبيرة].

والتجديد المستمر وفقاً لمتطلبات العصر هو تجديد فهمنا للدين، وتصحيح للمفاهيم المغلوطة، لأن انتشار الأميه الدينيه مع اختلاط الدين بالثقافة والخرافه والتاريخ والعادات والتقاليد احيانا يجعل وصول الدين الصحيح في جوهره إلى الفرد الأمي أمر صعب، وعلم الفقه وعلم الكلام من أولى المهام في التجديد، وكذلك تنقيه علوم التراث من الخرافات والاسرائيليات، وهذه مهمه المؤسسات الدينية والتعليمية والإعلامية، وتطوير الخطاب الديني لتأثيرة القوي في تشكيل العقول وتحريكها نحو الفهم الصحيح للدين.

- الاهتمام بالتصنيع واعتباره قاطرة النمو الاقتصادى مع تأهيل القوى البشرية والاهتمام بالتعليم الفنى لملائمة سوق العمل المحلى والعالمى، فمن لا يملك قوته وسلاحه لا يملك حريتة واستقلاله.
- تربية العقل الناقد الذي هو إفراز لمؤسسه تعليميه تحث على الابتكار والإبداع، فالعقل الناقد هو خط الدفاع الأول للأمن القومى.

- الإعلام ودورة المؤثر القوي في تربية النشأ، وفي بناء أو هدم الدول لذا يجب النظر إليه بعين الاعتبار.
- القضاء علي الفقر والبطالة.
- ضرورة التضامن العربي في مواجهة الآخر كي يصبح للمنطقة كيان موحد يحمل رؤية مستقبليه موحدة فى مواجهه الصراعات، ويدعمه تكامل اقتصادى قادر على استغلال موارد المنطقة (طبيعيه / بشرية / ماليه).
- الدخول في تكتلات اقتصاديه مع قارات العالم وخاصة قارة افريقيا وآسيا لما له من أثر طيب فى تقويه الاقتصاد الداخلي، وحسناً فعلت مصر بانضمامها للبريكس وغيره.
- اطلاق المزيد من الحريات مع التوعية بمسئوليه الحريه كي يتحقق المزيد من الإبداع.
- مزيد من الاهتمام بالبحث العلمى ووضع ضوابط اخلاقية لاستخدامات العلم وخاصة في مجال الذكاء الاصطناعي الذي سيصبح العنصر الحاسم فى مجال القوة الجيوبولوتيكيه بتداعياته الضخمه على التنافس بين القوى الكبرى وكذلك تداعياته على توازن القوى العالمى.

التفاعل مع الحضارات الأخرى

والمعني به التواصل والتفاعل مع الحضارات الأخرى لننهل منها الجوانب المضيئة التى تسهم في تشكيل حياتنا الثقافيه والفكرية تشكيلاً بناءاً يجعل العقل قادر على الإبداع.

وبما اننا ذقنا تجربة العولمه بسلبياتها وآلامها فينبغى ان نبحث عن طرق آمنه يتحقق من خلالها التفاعل الآمن .. فلتكن الصين بتقدمها التقني والاقتصادى وبما لديها من رصيد حضاري روحي ورؤيه انسانيه متزنة نحو سيادة العالم إن تمكنت من ذلك، والرؤية الصينية تحمل قيماً انسانية تليق بإنسائيه الانسان لأنها لا تسعي للهيمنه كالولايات المتحدة الأمريكيه، فرؤيتها تعتمد على (الانسجام مع وجود اختلاف) اى تفاعل الثقافات مع احتفاظ كل دولة بخصوصيتها الثقافيه وتحت مبدأ المكسب للجميع يعنى [معاً أنا استفيد وأنت تستفيد].

والمنطقة العربية منطقة محوريه وقوه إقليميه بكيانها الروحى والمادى فى قلب العالم بموقعها وثرواتها، وتستطيع بما تملكه من رصيد حضارى ثقافى روحى أن تتعامل مع كل دول العالم وتتفاعل ثقافياً معه بعلاقات متوازنه ومتنوعه كى تتجنب الاستقطاب والتبعيه.

كما يجب معرفه أن بناء جسور التواصل والتفاعل بين الثقافات أمر ليس هيناً لأن احوال العالم لا تسمح لأى ثقافه أو امه من الأمم ان تظل بمعزل عن الآخرين خاصه ان التقدم في وسائل التواصل يساعد على ذلك وجعل العالم قرية واحدة والذي من شأنه ان يعزز مبدأ التسامح وقبول الآخر من اصحاب الثقافات والديانات الأخرى.

والعلم مفتاح الحضارة لأى دولة، وهو ايضاً ثقافه عالميه يتوحد من خلاله العلماء مهما كانت اصولهم واعرافهم أو خلفياتهم الثقافية والدينية والعرقية.

وكان يجب علي الولايات المتحدة الامريكية باعتبارها الدولة الكبرى والأولى في العالم والتى تمتلك القوة الاقتصادية والعلميه والعسكريه ان تبادر بتحقيق التعايش السلمى مع كل دول العالم .. لا الصراع معهم، وان تمارس دوراً قيادياً جديا في مواجهة العنف في المجتمع الدولي كله وان تكون الراعيه الاولى لحقوق الانسان، وتضييق الفجوة الهائلة بين الأغنياء والفقراء وان تجعل العالم كتله بشريه متوحده نحو تحقيق الرخاء للإنسان، وان تتحمل مسئولياتها نحو تحقيق السلام لكل دول العالم.

نحن بحاجه الآن لثقافة التفكير الجدى لتحقيق السلام بإقامة جسور وتواصل بين الثقافات حتى وان اختلفنا في قضايا كثيره .. لابد أن يحتل الحوار مع الآخر الوسيلة الأولى لإذابه الصراعات والاحتقانات، وان يكون الهدف الاساس ارساء دعائم السلام بالتعايش السلمى ومفتاح ذلك عدم تجاهل الدول الفقيرة والنامية، وعدم تجاهل الجوعي في العالم، بعد ان ثبت ان الفقر والاحباط يولدا الارهاب والتمزق بين دول العالم .. يجب تجاهل نظريه صدام الحضارات التي قال بها هنتجنتون فاذابة كل المشاكل ستأتي بالحوار وليس من الصدام، والمستقبل المزهر للبشرية لن يتحقق الاَّ بالتعاون المثمر وبناء جسور واتصالات تحقق تفاعل مثمر رغم أنف مستشرقين حملت دراساتهم كراهيه شديدة للعرب كجنس سام، وللإسلام كعقيدة مصدرها السماء منتهجين منهج تجريد الإسلام من كل قيمة ايجابية خلافاً لآخرين اتسموا بالموضوعية والأمانة العلمية، وكم جاهد د . محمود حمدى زقزوق – رحمه الله – فى ابراز العناصر الايجابيه والسلبيه للمستشرقين لا لشيء إلاَّ لادراكه مدى تأثيره في الفكر الإسلامي الحديث.

وهويه المجتمع تصنعها ثقافته التي يريدها بارادته نتيجه تفاعله على الاحداث والنظم والأفكار والعقائد والأعراف والقيم .. الخ وكلها من صنعه حتى تكونت للمجتمع عبر الأزمان والعصور ذاكرة تاريخيه تعى ماضيها، وحاضرها، وتتفاعل معهما لتشكل لنفسها رؤية مستقبليه .. إذن الهوية صناعه يجب ان تجتمع لها كل ادوات التنشئه والنماء والنهوض.

ومفتاح قوة الهويه هو مسايرتها للتقدم والتجديد المستمر عبر الزمن وذلك بتفاعلها مع غيرها من هويات المجتمعات الأخرى، ومدى قدرتها على تحقيق سياسه الأخذ والعطاء، فالحضارات الأصيلة تتلاقى وتتواصل ولا تتصارع، فلا توجد حضارة تكونت لمجتمع إلاَّ وأعطت كما أخذت.. وتاريخ الحضارات يشهد بذلك.

وتأرجح الهويه بين القوة والضعف وفقاً للظروف وما يحمله الزمن من احداث تتعرض لها الدولة، وبقدر وعى ابناءها.. بقدر حرصهم على بقاءها والحفاظ علي قوتها.

وتشهد المنطقة العربية الآن فترة ضعف الهوية، وتعيش احلك فتراته الماً وسواداً واحساساً بالهزيمة النفسيه خاصه بعد حرب اسرائيل علي غزه الدائرة الآن ومنذ ٧ اكتوبر ٢٠٢٣ إضافه الى الظروف الداخلية لكل دولة وما كشفت عنه – ثورات الربيع العربي في ٢٠١١ وما ترتب عليه من سقوط بعض الدول كسوريا واليمن وليبيا والسودان ومن قبلهم العراق في ٢٠٠٣ ووجود الإرهاب حتى الآن بالمنطقة.

إن الانفتاح على الآخر ضرورة تحتمها مستجدات الحياة لانه سيعمل على إعادة تشكيل حياتنا بوعى رشيد يقوى من هويتنا فيمحى الجمود والتخلف ويتراجع التقليد مع بزوغ الإبداع، والترجمه لها دورها الحيوى كأداة للاتصال الثقافي الحضاري مع الآخر.

- وتعد الترجمه طريقاً سحرياً لعبور الخلافات بيننا والآخر ومعرفة فكره وعلومه وآلياته شريطه الاَّ تتناقض مع ثوابتنا الدينية والخلقية.
- والحوار أيضاً هو الوسيلة التي تليق بإنسانية الإنسان، وهو ضروره لحل الصراعات، وفض المنازعات، وإذابه الخصومات على المستوى المحلى والاقليمي والعالمى .. فنحن في عصر عدم توازن القوى نتيجه للصراعات النووية والفكرية والدينيه والأيديولوجيه..، والحوار وسيلة هامة جداً للقضاء على النظرة الاحادية الجانب التي تغطي تفكير العرب.

والحوار كقيمه يعنى الإعتراف بالاختلاف، وبوجود الآخر وتأكيد للآية القرآنيه [وخلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا] – كما انه بالحوار تسود مشاعر الاحترام والتسامح بديلاً لمشاعر العداء والكراهية

ويعتبر حوار الأديان، وحوار الثقافات من اهم الحوارات وخاصه في مواجهة حملات التشكيك المستمرة على الاسلام واتهامه بانه ينتشر بحد السيف .. الخ مستندين في ذلك الحوار بالقواسم المشتركة بين الثقافات والأديان المختلفة.

- واذا كانت امريكا [دولة القطب الواحد] تشترط الندية فى التعامل معها، فلنتجه شرقاً نحو الصين حيث نجد رؤيه صينيه تختلف عن الرؤية الأمريكية – فالتعامل والتفاعل مع الصين هو تفاعل مع دولة متقدمة تقنيا واقتصادياً، ولديها رصيد حضاري روحى، وتحمل رؤيه انسانيه متزنة في قيادة العالم التى تجهز لها .. والرؤية الصينيه تعلن أنها لا تسعي للهيمنة، وتتعامل بمبدأ [الانسجام مع وجود اختلاف]، [والمكسب للجميع]، وليس من الضرورى ان تكون هناك نديه، بل التفاعل يتم على أسس ومبادىء انسانيه تحفظ للانسان كرامته.
- ونحن ايضاً يجب ان يكون لنا مبادئ واسس ننطلق منها للتفاعل الحضارى مع الآخر لأجل تجديد الهوية وتقويتها .. فكما انتشر الاسلام بالتسامح قديماً فيجب التعامل الآن بالتسامح .. فهو يحمل مبادئ راقيه [لا اكراه في الدين]، وان نستخدم الحوار والجدل، وادوات الاختلاف، ويجب ان نحافظ على الثوابت الدينية والخلقيه، فنحن نمتلك قوة روحية هائله، وحضارة عالميه تخاطب البشرية بلا تمييز، ويجب أن نتفاعل بوعي حتى لا يتبلعنا الآخر فنفقد هويتنا .. علينا الاَّ ننفصل عن ماضينا، ويكون التفاعل مبنى على اسس اخلاقيه وقيميه، وبعلاقات متوازنة ومتنوعه كى نتحنب الاستقطاب والتبعيه، ولنا في مصر النموذج والقدوة بعد ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ كما من الاهميه الاكثار من مؤتمرات حوار الاديان وحوار الحضارات وفى كل مجالات الثقافة.

إن تقويه الذات العربية هو الخطوة الأولى نحو دولة قويه، وهويه قويه، ويحضرني مقوله غاندى زعيم الهند [يجب ان افتح نوافذ بيتي لكل الوان الثقافات، لأننى ارفض أن

اكون ريشه فى مهب رياح أحد، وأرفض أن اعيش داخل منازل الآخرين سواء كدخيل أو كمتسول أو كعب].

خاتمة

استعرضنا من خلال هذا البحث ما يحدث من سلبيات في واقع المجتمع العالمى من سيطرة القطب الواحد وهيمنتة استناداً إلى نظريه القوة التي تتخذ من الصراع مع الآخر منطلقاً لتحقيق مطامعه ومصالحه دون اعتبار لمبادئ أخلاقيه وقوانين وميثاق وقواعد انسانيه، ودون اعتبار لما اتفق عليه من قواعد وقوانين تشمل الجميع تتمثل في مهام منظمات المجتمع الدولى، فأفقد العالم الأمن والسلام وأصبح من الضروري – الآن – التفكير والبحث من جانب غالبية الدول [كبيرة وصغيرة] عن ملاذ آمن يتمثل في :

(١) إنهاء سياسة القطب الواحد المهيمن بسياساته الفاشلة فى التعامل مع الدول بمعايير مزدوجه.

(٢) ضرورة أن تقوى كل دولة نفسها داخلياً بمواردها المتعددة كى تتجنب الصراعات والقروض المشروطه والمنح المشروطة، والتبعية.

(٣) الدخول في تكتلات اقتصادية واحلاف عسكرية وفقاً لظروف كل دولة ورؤيتها للآخر .

(٤) اصلاح الهياكل الداخليه لأجهزه متخذي القرار وكل الانظمه التي تحقق الأمن سواء قطري أو اقليمي.

(٥) إجراء إصلاحات هيكليه لآليات فض المنازعات وتحقيق العدل والسلام في العالم والإلتزام بقوانينها مثل هيئة الامم المتحدة ومجلس الأمن وغيرهما .

(٦) قال الشاعر المصرى احمد شوقى

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هُمُ ذهبت اخلاقهم ذهبوا

فلا حضارة بدون اخلاق، والوضع الحالي على ارض الواقع في العالم يستلزم أن تبذل الدول اقصى جهد لأجل حفظ السلام، وأن يسود الحوار بينهم بديلاً عن العنف والقوة، وصياغة قانون اخلاقي يحفظ لها حقوقها وكرامتها شريطه ان يلتزم به الجميع،

ويا حبذا لو تقدم الفلاسفة العرب بطرح مشروع اخلاقى مستوحى من الاديان السماوية التي هى منبع القيم الدينية والروحية والخلقية، وهو ما يفتقده الغرب المادي.

المراجع

١- "هموم الأمة الإسلامية" د. محمود حمدي زقزوق، دار الكتاب المصري بالقاهرة ٢٠١٤م.

٢- "ثقافتنا بين التجميد التجديد" أ/ نجيه المسلمى، دار الكتاب الحديثة – القاهرة ٢٠٢١.

٣- "مجله السياسة الدولية "عدد يناير ٢٠٢٤.

٤-"الفلسفة وأزمة الفكر العربي الإسلامي" أ/ نجيه المسلمى، دار الكتاب الحديث ٢٠٢٢.

٥- "حسن حنفى كاهن الفلسفة" الصالون الثقافي العربي، دار آفاق للنشر والتوزيع.

٦- مجلة الجمعية الفلسفية المصرية "الهوية والاختلاف"، العدد ٦ مركز الكتاب للنشر.

٧- العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر د. عاطف العراقي، دار قباء للطباعة والنشر ١٩٩٨.

٨- "الاسلام فى مرآة الفكر الغربي" د. محمود حمدى زقزوق، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٩٤.

٩- حوار الحضارات د. احمد زويل، دار الشروق ٢٠٠٧.

١٠- مجلة السياسة الدولية، عدد ابريل ٢٠٢٤م.